**الجامعة المستنصريَّة / كلِّية الآداب / قسم اللغة العربيِّة/ د. قصي عدنان الحسيني**

**الأدب الأندلسي / المرحلة الثَّالثة/ مسائي/ ـــــ 1439ـ1440هـ /2017ــ 2018م**

**الأدب الموريسكي من تسليم غرناطة وحتَّى قرار الطَّرد النِّهائي**

**897 ـ 1018هـ / 1492ـ 1609م**

**( القسم الأوَّل )**

**التمهيد : الحديث عن أواخر أيام الأندلسيين في مملكة غرناطة من الناحية الاجتماعية والسياسية، وكيف ألت الأمور في تسليم المملكة إلى الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإليزابيث في 897هـ ـ 1492م.**

لقد اغفلت الدِّراسات الأدبية الأندلسية تسليط الضَّوء على (الأدب الموريسكي)؛ بوصفه مُكملاً للأدب الأندلسي؛ ربَّما لعدم اطِّلاعهم على ما قام به المستشرقون الإسبان من تحقيق لتراث الموريسكيين (أدباً وتأريخاً)، وتقديمه مادَّة جاهزة للبحث، وقد ضمَّ هذا الأدب جملة وافرة من الشِّعر والنَّثر الَّتي عكست حياة الموريسكيين بكل معاناتها بعد تسليم غرناطة 897هـ ـ 1492م، من تنصير قسري ثُمَّ طرد و تعذيب وقتل، وبيَّنت تلك النُّصوص الأدبية مدى تمسُّك الموريسكيين بهويتهم الإسلامية ولغتهم العربيِّة، وقد دامت هذه الحملة الوحشية ضد المسلمين أكثر من قرن من الزَّمن،في مهاد الثِّقافة العامّة ، وفي حفريات الذّاكرة الأندلسية ، يظنُّ الكثير من الباحثين أنَّ النّبض الإسلامي ، وروحانية اللغة العربيّة ، قد لفظت أنفاسها الأخيرة في سنة 897هـ ، بتسليم آخر ممالك المسلمين في بلاد الأندلس ، وهي "مملكة غرناطة" .

لقد قدّم "الموريسكي" كلَّ ما يملك من غالٍ ونفيس ، بإصرار أمام "محاكم التَّفتيش الإسبانية" ، وجها لوجه مستقبلاً عقوبة الحرق حيّاً ناهيك عن أنواع التعذيب الّتي لا تخطر على قلب بشر يؤمن بأدنى درجات الحقوق الإنسانية لأبناء جلدته ، بعدما نقض النّصارى بنود اتفاقية "تسليم غرناطة" (ينظر، التَّنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين، د.محمَّد عبده حتاملة، عمَّان، 1980م، :ص 21 وما بعدها، هناك ترجمة وافية لنصوص المعاهدة الكاملة، وحياة الموريسكيين الدّينية ،بدرو لونغاس ، ترجمة وتقديم د.جمال عبد الرّحمن : ص 47 ، هـ 1 بعضاً من بنود اتفاقية تسليم غرناطة ) ، وجاءت في أدبيات أحد الكُتّاب الموريسكيين قوله : (دافع عن دينك ولو بالمال والنّفس)(حياة الموريسكيين الدّينية : ص64) ، وهو أغلى ما يملك الإنسان في حياته، فلابُدَّ أن يبذلهما في سبيل الدِّين !

تعرَّض الموريسكيون الى كثير من التَّقتيل والتَّعذيب والإقصاء وتغيير الهوية الإسلامية، وما يتعلق بها من قِبل محاكم التَّفتيش (محاكم التفتيش الإسبانية "1480 ـ 1516هـ" د. بشرى محمود الزوبعي ، الجامعة المستنصرية ، د م ، د ت : ينظر ص 94 ـ 100 ، وفيها وصف لوسائل التعذيب، و ص 104 ـ 117 ، فيها وصف مُروع لا يتحمله المرء لطريقة حرق اليهود والمسلمين جرّاء وشاية كيدية في أغلب الأحيان !) المسيحية التي اضطهدتهم ؛ بسبب حُبّهم للّغة العربية ، وتمسكهم بدينهم الإسلامي وتعاليمه السّمحاء ، ولو قرأنا أسلوب أحد أعضاء "محكمة التفتيش" الكاردينال (خيمينيث دي رينوسو) رئيس محكمة التفتيش في عام 1582م عن مشروع "طرد موريسكيي فالنسيا وممالك أخرى ، لعلمنا ما كان يُعانيه المسلمون على يد هؤلاء ، وكيف تُتّخذ قرارات الطَّرد بحقِّهم ، كما جاء في قول رينوسو :

(لن نفقد شرفاً ، فمن المعلوم في روما أنّهم مسلمون هنا ، وسيكونون مسلمين في بلاد البربر ، وفي أي مكان يذهبون إليه) (حياة الموريسكيين الدّينية ، بدرو لونغاس : ص 52 ، هـ 23 .) ؛ لذا صمَّم الموريسكيون التّمسك بتراثهم الأصيل ما جعلهم يجدون بدائل للمحافظة على ثوابتهم، وإثبات هويتهم الدّينية والثّقافية، بحيث لا تستطيع تلك المحاكم كشفها أو إدانتها فكان اكتشافهم لـ(للِّغة الإلخميادية) ، وهي : اللغة القشتالية الَّتي تستعمل الحروف العربيَّة ذروة العشق الرُّوحي لدينهم الإسلامي ، وللغتهم العربيَّة، وهم من التعسف والظلم بمكان أن يبحثوا عن طريقة لحفظ هويتهم الإسلامية، لذا (فإن المرحلة الّتي تلي مرحلة الطَّرد من شبة الجزيرة الآيبرية تظلُ مناطق معرفية معتَّمة! ما تزال في حاجة إلى مقاربات علمية دقيقة تكشف غوامضها وتفتح مغاليقها)(مجلة العربي "الكويتية" ،ع642 ،جمادى الآخرة 1433هـ ـ /مايو/2012م، ص 184، والمقال عرض لكتاب "الموريسكيون في إسبانيا والمنفى، ميكيل دي إيبالثا، ترجمة د.جمال عبد الرحمن، عرض د.علاء عبد المنعم إبراهيم، والكتاب من إصدار الدَّار القومية للترجمة برقم "922"، مصر، د ت).